1

فيلادلفيا الثقافية

فصلية ثقافية تصدرها جامعة فيلادلفيا * العدد الأول - نيسان - أيار - حزيران /1997

كتب في هذا العدد:

■ ليلى شرف ■ أ.د.فؤاد الشيخ سالم ■ د.حسن حنفي

■ فدوى طوقان ■ سميح القاسم ■ فخري قعوار ■ د.جعفر دك الباب

■ د.هشام غصيب ■ جمال أبو حمدان ■ د. هند أبو الشعر ■ د. تيسير صبحي

1

فيلادلفيا الثقافية

مجلة ثقافية تصدرها جامعة فيلادلفيا

العدد الأول - نيسان - أيار - حزيران / 1997

الغلاف

في هذا العدد:

د. السمرة يتحدث لفيلادلفيا ص: ٤٢

فيلادلفيا تعني المحبة ص: ١٢٠

فدوى طوقان ص: ٤٨

سميح القاسم ص: ٤٩

صورة الغلاف بريشة الطالب عمار الغول كلية الحقوق

هيئة التحرير

أ. د. صالح أبو اصبع
(رئيس التحرير)

د. عز الدين المناصرة
(مدير التحرير)

د. غسان عبد الخالق
(سكرتير التحرير)

د. نادر أبو شيخة

د. أسفار شبيب

د. عيسى دبّاح

د. خالد حياصات

المراسلات

باسم رئيس التحرير،

جامعة فيلادلفيا،

ص.ب 1101 عمان - الاردن

(119-10)

المحتويات

كلمة رئيس مجلس الأمناء — معالي السيدة ليلى شرف — ص : ٤

كلمة رئيس جامعة فيلادلفيا — أ.د فؤاد الشيخ سالم — ص : ٥

افتتاحية العدد — أ.د صالح أبو اصبع — ص : ٦

دراسات ومقالات

- التفاعل والإنغلاق بين الذات والآخر: ما السؤال؟ — أ.د. حسن حنفي — ص : ٧
- اطروحات حول التحدي الحضاري الغربي. — د. هشام غصيب — ص : ١٧
- القيادة الإدارية ودورها في عمليات الإصلاح الإداري — د. نادر أحمد أبو شيخة — ص : ٢٠
- تساؤلات حول التفاعل الثقافي في القرية الالكترونية — د. تيسير صبحي — ص : ٢٤
- في التعددية السياسية. — د. نظام عساف — ص : ٢٨
- التمويل ومتطلباته الأساسية في المرحلة القادمة. — د. كنجو عبود — ص : ٣٨

حوار العدد

- الدكتور السمرة يتحدث لـ «لفيلادلفيا الثقافية». — زياد أبو لبن — ص : ٤٢

أدب ونقد وفن

- حوارية / شعر — فدوى طوقان — ص : ٤٨
- فراقية للاجئين السياسيين في مقاهي أوروبا/ شعر. — سميح القاسم — ص : ٤٩
- لا أثق بطائر الوقواق / شعر. — عز الدين المناصرة — ص : ٥٢
- دوافع التجربة الشعرية عند مصطفى وهبي التل / دراسة. — د. غسان عبد الخالق — ص : ٥٥
- نحو نظرية عربية حديثة للنقد الأدبي / دراسة. — د. جعفر دك الباب — ص : ٦١
- قراءة في رثائية أبي ذؤيب الهذلي/ دراسة. — د. حسن عليان — ص : ٦٥
- أدب الفئات الهامشية في العصر العباسي/ دراسة. — أحمد الحسين — ص : ٧٠
- العقد والمنديل/ قصة. — فخري قعوار — ص : ٧٦
- البحث عن زيزيا/ قصة. — جمال أبو حمدان — ص : ٧٩
- الطريق/ قصة. — هند أبو الشعر — ص : ٨٣
- قفص من فضاء/ قصة. — عبد عون الروضان — ص : ٨٥
- شرفات/ قصة. — ريحة ريحان — ص : ٨٧
- في المسألة التشكيلية/ دراسة. — محمد العامري — ص : ٨٩
- إعادة محاكمة شايلوك/ مشهد مسرحي. — محمود البنا — ص : ٩١

ترتيب الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

أبواب ثابتة

- نصوص تراثية (باب الضنى) — ابن حـــــــــزم ص : ٩٥
- غوّاص (لغـــــة) — سليـــمـــان عليـــوات ص : ٩٨

خزانة فيلادلفيا

* مراجعات:

- « التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً». — محـمـد عـبـيـد الله ص : ١٠٢
- « الطريق إلى المستقبل». — د. تيـسـيـر مـشـارقـه ص : ١٠٩
- إصدارات. — الـتـحـريـر ص : ١١٣

تحقيق مصوّر

- فيلادلفيا تعني المحبة. — علي العـامـري ص : ١١٨

علوم وتكنولوجيا

- آلية الاستجابة المناعية والوقاية من الأمراض. — د. أسـفـار الشـبـيب ص : ١٣١
- التشريعات المتعلقة بالنباتات الطبية. — د. نـضـال الدوري ص : ١٣٦
- نعم، العالم أصبح بين يديك. — د. خـالد حـيـاصـات ص : ١٣٩
- الرياضيات .. اكتشاف أم اختراع؟ — د. خـلـيـل الدوسـري ص : ١٤٢
- التعليم الهندسي. — م. مـحـمـود أبو شـمـة ص : ١٤٣
- أمراض لا نعرف عنها الكثير « داء البيغاء». — د. عـمـار الخطيب ص : ١٤٤
- حقائق عن الصرع. — د. علي عـبـد اللطيف ص : ١٤٦

ترجمات

- في الدفاع عن العقلانية. — ت/ مـحـمـد السـيّـد ص : ١٥٠
- الطفلة البدينة. — ت/ د. ابراهيم ابو هشـهش ص : ١٥٤
- ترجمة الشعر الغنائي. — ت/ فـايـز أبو الكاس ص : ١٥٧
- اللعب والخيال. — ت/ بيان عثمان ، لائقة الحموري ص : ١٥٩

الموضوعات المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها

«فيلادلفيا الثقافية»

ليلى شرف
رئيس مجلس أمناء جامعة فيلادلفيا

لا شيء يسعد القيّمين على مؤسسة علمية شابة، مثل أن يرافقوها وهي تولّد آليات التواصل العلمي والثقافي، مع مجتمعها القريب والبعيد.

فذلك مؤشر على بداية نضجها من جهة، وهو من جهة أخرى يساعدها على بلورة دورها وإحتلال موقعها بين مؤسسات الدراسات والابحاث في وطنها الكبير، وفي صف شقيقاتها من الجامعات.

واليوم إذ نعلن عن ميلاد "فيلادلفيا الثقافية" مجلة ثقافية عامة، وباكورة الانتاج الفكري لجامعتنا الفتية، فإننا نأمل أن تكون مقدمة لاصدار مجلة ثقافية علمية محكّمة، تسهم بها جامعة فيلادلفيا في حركة البحث العلمي العربي الشاملة.

وتتوجه بوليدتنا "فيلادلفيا الثقافية"، إلى قطاع واسع من مثقفينا في الأردن والوطن العربي، لتكون مسرحاً للفكر المبدع الحر، كما تكون تواصلاً مع ارثنا الثقافي الغني، وانفتاحاً على حضارات العالم في عصر التواصل الإنساني المفتوح وانهيار الحواجز.

إن إعداد الوطن العربي للقرن الحادي والعشرين، الذي كثر الحديث عنه في السنوات العشر الأخيرة، يتطلب منا افساح المجال أمام الابداع الفني والثقافي، كما يتطلب طرح القضايا الأساسية التي ترتبط بالنهضة المرجوة، ومعالجة العقبات التي تقف دون تحقيق القفزة الحضارية الضرورية. ولا شك في أن المجلات الفكرية الثقافية توفر المساحة اللازمة للمفكرين، لطرح مثل هذه القضايا وإثارة الجدل اللازم حولها، لتعميق فهمها واستيعاب أبعادها والوصول إلى معالجتها والتعامل معها. ونحن إذ نقدم "فيلادلفيا الثقافية" مسرحاً لأقلام مبدعينا ومفكرينا، لنأمل أن نساهم في هذا الجهد وأن نغني الحوار القومي الحضاري العربي، في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا.

الخطوة الأولى

أ.د فؤاد الشيخ سالم
رئيس جامعة فيلادلفيا

يقول الصينيون إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة. ويقول غيرهم إن من أكبر الأخطاء وضع العربة أمام الحصان. ولأننا ندرك جيداً مبلغ الصواب الكامن في هاتين المقولتين، فقد وضعنا نصب أعيننا -في جامعة فيلادلفيا- صعود السلّم درجة درجة، برفق وحذر وثبات. ولأننا نعتقد بأنه قد آن الأوان كي نطلق غصناً أخضر باتجاه مجتمعنا المحلي ووطنا العربي، فقد عقدنا العزم على إصدار مجلة "فيلادلفا الثقافية"، لتكون منبراً للمعرفة العلمية الجادة، والثقافة المستنيرة الهادفة؛ يلتقي عبر صفحاتها أساتذة الجامعات -من فيلادلفيا وغيرها - والمثقفون الأردنيون والعرب، فيكتبون ويتحاورون ويسهمون في تشكيل خارطة الثقافة والوعي.

ولعل المتصفح لهذا العدد الذي نرجو أن يكون باكورة واعدة، سيلحظ مدى الجدية التي لن ندخر وسعاً في الحفاظ عليها، كما سيلحظ مدى التنوع والإبداع الذي سنعمل على زيادة مساحتهما فمن محور العدد الذي دار من حول أكثر الأسئلة جدارة بالإجابة (الذات والآخر)، إلى دراسات معمقة في ماهية الإبداع ومفهوم التعددية، ومن علم الحاسوب والرياضيات إلى آفاق التشريعات الخاصة بالأحياء المائية. ومن رحاب الشعر الذي شدا به في هذا العدد ثلاثة من شعرائنا الكبار، إلى ثلة من القراءات النقدية الشفافة والمراجعات الرصينة والتحقيق المصور عن عمان التي تدثّرت مجلتنا باسمها القديم.

إن المجال لا يتسع حقاً، لاستعراض مواد هذا العدد، كما اننا لا نرغب في تفويت فرصة الاكتشاف والشعور بالدهشة والجدة والمفاجأة بالنسبة للقراء. لكننا معنيون بتوجيه دعوة مفتوحة لأساتذتنا ومثقفينا في الأردن والوطن العربي، كي يرفدونا بأبحاثهم ومقالاتهم وإبداعاتهم، ومهتمون أيضاً بأن نشد على أيدي أعضاء هيئة التحرير، ونتمنى لهم التوفيق والنجاح في هذه المهمة، المهمة التي سبق أن ألمحنا إلى أنها الخطوة التي أردناها أن تكون ثابتة، على طريق إصدار مجلة علمية محكمة.

والله من وراء القصد

فيلادلفيا ورؤية المستقبل

أ.د. صالح أبو اصبع

فيلادلفيا جامعة حديثة، تسعى إلى تأسيس تقاليد أكاديمية رفيعة المستوى في وطننا، وتطمح إلى أن تكون منارة عربية ثقافية متميزة.

هذان الطموحان يبرزان لنا من خلال رؤية واعية للتحديات التي تواجه الإنسان العربي من المحيط إلى الخليج، في عالم أضحت فيه ألوان حياة البشرية تتغير وتتداخل بطريقة لم يشهدها العالم من قبل.

- فهذا الكون يسوده الآن عالم القطب الواحد الذي أضحت فيه الولايات المتحدة هي مركز القرار الدولي والقوة المهيمنة على النظام السياسي العالمي الجديد ،بعد تفكك نظام المعسكر الإشتراكي.

- وهذه ثورة الاتصالات تقودنا إلى عالم تنعدم فيه المسافات، ومن خلال شبكات الانترنيت أصبحت المعلومات تتدفق عبر الحدود بدون بوابات وبدون رقيب.

- و يشهد العالم في نهاية هذا القرن التوجه نحو الديمقراطية، لتصبح شعاراً ومقياساً لتقدم الأمم وشرطاً لنجاحها في بناء مجتمعات سليمة معافاة.

- ويشهد عالمنا كذلك ثورات علمية لا حدود لها، وخصوصاً في مجال الطب؛ إذ أن الهندسة الوراثية وعلم الجينات وما نتج عنها من مكتشفات مثل الاستنساخ يجعل هذا العالم على شفا ثورة جديدة تطال الجنس البشري برمته.

- ويعيش العالم تحديات بيئية أساسية تهدد حياة الإنسان ومستقبل أمنه وغذائه وصحته، تتمثل بقلة الموارد المالية ومحاولات التحكم فيها لطرف على حساب طرف أو أطراف أخرى، وكذلك ملوثات البيئة وتأثيراتها على المناخ وصحة الإنسان، وأخطرها طبقة الأوزون .

- والتوجه الحثيث نحو التكتلات الاقتصادية الكبرى، مثل الوحدة الاوروبية وجنوب شرق آسيا لخلق قوى صناعية منافسة ومهيمنة على السوق العالمي.

إن هذه الظواهر ليست كل ما جرى في عالم اليوم ، ولكنها أبرزها وأكثرها تأثيراً على مستقبل البشرية في مطلع القرن الحادي والعشرين، ومن خلال تلك الظواهر والمتغيرات ينبثق أمام فيلادلفيا مسؤوليات ترتو معها إلى المستقبل؛ فنحن جامعة تبني نفسها وتبني أجيالاً معها، ترى أن مسؤوليتها ليست مسؤولية محدودة في إطار إقليمي، وفي عالم تصطرع فيه مصالح الأمم ويبرز فيه -بشكل مثير للانتباه - صراع ثقافي شرس، سيأخذ مداه الجماهيري من خلال محطات التلفزيون الفضائية، وشبكات المعلومات المحوسبة عن طريق الانترنيت.

إن دور فيلادلفيا الثقافية كما نراه، هو أن تحمل جزءاً من مسؤولية ترسيخ ثقافة عربية أصيلة بدون إنغلاق أو تعصب، ومنفتحة على ثقافات العالم بدون انبهار أو تسيّب.

تصبو مجلة فيلادلفيا الثقافية، لأن تكون تعبيراً عن ضمير الأمة العربية الثقافي، تحمل رؤية لمستقبل عربي أفضل تنعدم فيه حدود الأقليمية، وتُجسّر الهوة التي صنعتها السياسة.

إن مهمة فيلادلفيا الثقافية ، أن تكون منبراً لثقافة عربية تعبر عن قضايا الإنسان العربي وهمومه ومشاكله ورؤاه المستقبلية..

هذه المجلة تفتح صفحاتها للحوار البناء، والفكر الحر بلا قيود ،ولتكن فيلادلفيا منبراً للأفكار وإن اختلفت، ومتنفساً للإبداع الثقافي بمعناه الشامل، وواحة لأقلام الحالمين بمستقبل عربي مشرق لإنساننا العربي من المحيط إلى الخليج.

التفاعل والانغلاق بين الذات والآخر:

ما السؤال؟

أ. د. حسن حنفي

أولاً: الأسئلة الثلاثة:

قد يكون أحد أسباب عثراتنا الأخيرة أننا حاولنا الإجابة، دون أن نضع السؤال.

فجاءت إجاباتنا تعبيراً عن مواقف فكرية مسبقة دون تحليل للواقع المعاش، إجابات جاهزة تعبر عن إيمان مسبق دون رؤية لمشاكل العصر. فالإسلام هو الحل، والماركسية هي الطريق والقومية هي الملاذ، والليبرالية هي الخلاص، إجابات جاهزة دون طرح سؤال محدد، فالإسلام عقيدة وشريعة، مصحف وسيف، دين ودولة، والماركسية ايديولوجية الطبقة العاملة، عقيدة البروليتاريا، وسيلة تحقيق العدالة وتوزيع الدخل القومي دون إستغلال والقومية طريق الوحدة والتقدم والحرية. والليبرالية سبيل الدفاع عن حقوق الإنسان. الإجابة هنا إعلان عن مبدأ دون أن يكون إجابة على سؤال مطروح، تعبير عن نوايا دون أن تكون إستجابة لموقف محدد، خطابة أكثر منها جدلاً، إجابة دون سؤال.

وقد تكون الإجابات تعبيراً عن ضيق، أقرب إلى الصرخة منها إلى الإجابة، وإلى إثبات الوجود منها إلى التغيير الإجتماعي، وذلك مثل «الحاكمية لله» إجابة على سؤال لاشعوري عن مصدر السيادة وشرعية الحكم، وهو سؤال مضمر، يعبر عن ضيق بالواقع، وغضب منه، وحنق عليه أكثر مما يجيب عن سؤال محدد معلن تعدد إجاباته، ولا يتضمن إجابة إنفعالية مسبقة برفض نظم الحكم القائمة، وتكون الإجابة الجاهزة حينئذ معولاً لتقويضها.

لذلك وقعنا في القطيعة، وخاصم بعضنا بعضاً، وانقلب الأخوة في الوطن إلى أعداء في الله أو في العقيدة، ولما كانت الإجابات ينفي بعضها بعضاً لأنها إجابات مطلقة وشاملة، لا تسمح بالحوار، ولا تقبل الأخذ والعطاء، كفّر بعضنا بعضاً، ووقع النزاع بين الأخوة الأعداء، كل فريق يقدم إجاباته على أنها هي الصواب، وإجابات الآخرين على أنها هي الخطأ بعينه، في حين أن السؤال حوار مفتوح، يفتح المجال لإجابات متعددة واجتهادات متباينة، أما الإجابة الجاهزة دون سؤال فإنها تغلق الأبواب، وتمنع الحوار، وتبقي التصادم عن حق أو عن باطل رغبة في فرقعات الصوت أو سيل الدماء، طلباً للإعلان عن الذات أو الشهادة في سبيل العقيدة.

ويكون السؤال مشروعاً لو كان تعبيراً عن موقف فكري، أما لو كان تعبيراً عن أزمة نفسية، إحساساً بالعظمة تجاه النفس، وأننا خير أمة أخرجت للناس، وأن لدينا ما ليس لدى الآخرين أو أفضل مما لديهم، وأننا في غنى عن كل شيء، فالله غني عما سواه وكل ما سواه فقير إليه فإنه لا يكون سؤالاً بل يكون حرجاً في الصدر، وحنقاً في القلب، وغصة في الحلقوم، في حاجة إلى علاج نفسي، وتفريج للكرب، وإزاحة للهم، والإحساس بالعظمة أو بالنقص تجاه الآخر، في النهاية عقدة نفسية في حاجة إلى علاج نفسي، وليس سؤالاً في حاجة إلى إجابة، ردود أفعال على أفعال، أفعال منعكسة أو شرطية وليست مواقف فكرية واعية.

والسؤال الصحيح يتضمن نصف الإجابة، ونصف الإجابة في طريقة وضع السؤال. أما السؤال الخاطئ فإجاباته خاطئة بالضرورة مهما عظم الجهد المبذول ومهما زاد قدر المجيب، فمثلاً: هل الوحي من عند الله؟ سؤال خاطئ لأن الإجابتين الوحيدتين الممكنتين:

«نعم الوحي من عند الله» أو «لا، ليس الوحي من عند الله»، خاطئتان، فالوحي من عند الله ليس على الإطلاق، بل مشروط بأسباب النزول، فالأسباب هي التي تستدعي الوحي، والظروف الإجتماعية هي التي تتطلبه، والوحي لا يأتي بلا سبب، ولا يجيب دون سؤال، مثال آخر: هل يعمل الإنسان للدنيا أم للآخرة؟ سؤال خاطئ، لأن الإجابتين الوحيدتين المحتملتين خاطئتان، فالإنسان يعمل للدنيا كي يقيم معاشه، ويصلح حاله، ويحيا كريماً مكرم. ويعمل للآخرة إستعداداً للمستقبل وتخطيطاً لإستمرار الصلاح. مثال ثالث: أيهما أفضل الرأسمالية أم الإشتراكية؟ سؤال أيضاً خاطئ. فالإجابتان الوحيدتان المحتملتان على الإطلاق

تفضيل الرأسمالية على الإشتراكية أو تفضيل الإشتراكية على الرأسمالية خاطئتان، لأن الإجابة ليست على الإطلاق، إذا كانت الرأسمالية تعني الإنفتاح، السواح مداح وغياب سيطرة الدولة على البنوك والأسعار وأسواق النقد ووسائل الإنتاج التي تعم بها البلوى فإنها لا تكون مفضلة على الإشتراكية، وإذا كانت الإشتراكية تعني النظام الشمولي، والتخطيط التخبيوي، وسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج الكبرى والصغرى، ومنع النشاط الحر وسيادة البيروقراطية فإن الإشتراكية لا تكون مفضلة على الرأسمالية. مثال رابع: هل نحن مصريون أم عرب؟ أفارقة أم آسيويون؟ مشارقة أم مغاربة؟ كلها أسئلة موضوعة وضعاً خاطئاً ترد الكل إلى أحد أجزائه، وبالتالي تصبح خاطئة. فنحن مصريون وعرب، مولودون في مصر، ولغتنا وتراثنا وثقافتنا وتاريخنا وأهدافنا ومصالحنا عربية. ونحن أفريقيون وآسيويون، فوادي النيل في أفريقيا، وسينا، في آسيا، جناحنا الغربي في أفريقيا وجناحنا الشرقي في آسيا، ونحن جزء من المغرب العربي عبر الشمال الافريقي الذي منه انتقلت الفتوح إلى أوروبا، ونحن جزء من المشرق العربي عبر سينا، بالشام والعراق والحجاز، وكذلك سؤال: هل المصريون مسلمون أم أقباط؟ والإجابتان الوحيدتان المحتملتان على التبادل خاطئتان. فالمصريون مصريون مسلمون وأقباط ويهود وكلهم مواطنون مصريون، سواء أمام القانون. والإسلام والنصرانية واليهودية دين واحد، دين إبراهيم حتى ولو إختلفت مراحله، وتباينت شرائعه.

كان الوحي ذاته مجموعة من الإجابات على عديد من الأسئلة. وكانت الآية القرآنية تبدأ بالسؤال الذي يضعه الناس، سؤال عن الأهلة، والشهر الحرام، والخمر واليتامى والمحيض، والحلال والحرام، والساعة والانفال، والروح، وذي القرنين، والجبال.. الخ، ولا تكون الإجابة إلا على الأسئلة العملية المقيدة المحسوسة، أما الأسئلة النظرية الخالصة عن الساعة والحساب عن الروح وذي القرنين فإن إجاباتها أيضاً عملية من أجل الإستعداد للساعة، والعمل الصالح للحساب، وذي القرنين للإتعاظ. وهناك أسئلة لا إجابات نظرية عليها مثل السؤال عن الروح، أو تظل الإجابة في نطاق المجهول اشتياق له ويحثاً عنه من أجل بيان حدود العلم، فالسؤال يمكن أن يكون في أي شيء أما الإجابة فلا تكون إلا على السؤال العملي الذي ينتج عنه أثر عملي في الحياة اليومية تحقيقاً للمنفعة العامة. والسؤال النظري الخالص بدافع حب الإستطلاع والتلصص فإن مضار الإجابة عليه أكثر من نفعه. وقد يكون سؤالاً عن المستحيل وبالتالي يكون موضوعاً وضعاً خاطئاً مثل طلب رؤية الله فالله ليس موضوعاً للرؤية بل مثالاً للتحقق. السؤال الصحيح هو السؤال العملي الذي له إجابة وليس السؤال النظري الصرف الذي لا تحقق الإجابة عليه أي نفع للناس.

ونظراً لأهمية السؤال ظهر في علم أصول الفقه في أحد أبوابه الأخيرة باب في «أحكام السؤال والجواب» كملاحق لكتاب الإجتهاد مثل الفتوى والإستفتاء. فالسؤال يكشف عن علاقة العالم بالتعلم أي عن الحوار بين العالم وطالب العلم، وشروح الحوار، والبحث عن أرضية مشتركة بين المتحاورين، والإتجاه إلى ما هو فيه نفع للناس، ورفض الجدل والخصومات التي ينفي بعضها البعض الآخر، والتمييز بين السؤال المنتج للمعرفة والسؤال الفارغ بلا مضمون.

وقد كان السؤال أحد البواعث الرئيسية في الفكر الغربي على إختلاف مراحله. بدأ سقراط بالسؤال عن ماهية الأشياء. لم يكن السؤال طلباً لإجابة صحيحة من السائل، ولكن الكشف عن الإجابات الزائفة والأفكار الشائعة الخاطئة عند المسؤول، وحتى يبقى السؤال بلا إجابة يثير الذهن بعد أن يظهره مما ترسب فيه من تراث القدماء. السؤال يكشف المسؤول أمام نفسه ويعريه من ثقافته الموروثة، ويضعه أمام الحقائق البديهية التي غابت عنه، ويعيد إليه براءته الأولى ونوره الفطري، فيتساءل هو عن الحقيقة بنفسه، ويكتشفها بنفسه. وقد خلدت محاورات أفلاطون هذا الإتجاه في السؤال والجواب.

ثم تحول السؤال إلى أسلوب في الفكر أي إلى تساؤل وإلى حديث النفس عند أوغسطين متسائلاً عن ماهية النفس، كيفها وكمها وخلودها، وعن ماهية العقيدة وماهية العقائد، في داخلك أيها الإنسان تكمن الحقيقة واستمر هذا المونولوج عند أنسيلم في حديث النفس محاولاً البرهنة على وجود الله بحديث النفس الباطني.

واستمر ذلك في العصور الحديثة عند ديكارت في "التأملات" أنا أفكر أي أن أحيا وأتذكر وأتخيل. واستأنفت الفلسفة الغربية روح التساؤل وظهرت أعمال فلسفية كبرى إجابت على عدة أسئلة مثل خطاب روسو في العلوم والفنون إجابة على سؤال أكاديمية ديجون هل ساهم تأسيس العلوم والفنون في تطهير الأخلاق؟ وكذلك كتيب كانط "ما التنوير؟" وقد جعل كانط الفلسفة ذاتها أو الميتافيزيقا إجابة على ثلاثة أسئلة: ماذا يجب علي أن أعرف؟ ماذا يجب عليّ أن أعمل؟ وقد أجاب على السؤال الأول بنظرية المعرفة في "نقد العقل النظري" وعن الثاني بنظرية الأخلاق في "نقد العقل العملي" وعن الثالث بنظرية الجمال والدين في "نقد ملكة الحكم" باعتبار أن الغاية هي جوهر الجمال وأن الأمل في المستقبل هو جوهر الدين. فالأولوية للمعرفة على الأخلاق والدين. المشروع الفلسفي الأوروبي هو أولاً مشروع معرفي وثانياً أخلاقي وثالثاً ديني كبديل عن الدين القائم دين العقائد والشعائر والطقوس، وسلطة القدماء الممثلة في أرسطو وبطليموس.

وأخيراً أزدهر السؤال في الفلسفة الوجودية الظاهرية. فالتساؤل أساس الفلسفة، وهو ما سماه أرسطو قديماً الدهشة. السؤال هو استفسار عن معنى الحياة والموت والمصير عن حقيقة المحبة والكراهية، الصداقة والعداوة، الاقدام والاحجام، الفضح والخباء. فنحن نعيش في عالم المعاني، والسؤال توجه نحوها. التساؤل عند ياسبرز من مصادر الفلسفة مثل الشك والدهشة

وكثير من أعمال هيدجر مكتوبة بلغة التساؤل مثل: ماذا يعني هذا الشيء، الفلسفة؟ "ماذا يعني ما تسميه الفكر؟"، "ما هي الميتافيزيقيا؟"، "ما هذا الزرادشت نيتشه؟". فإذا ما فقدت الوجودية المعنى ووجدت اللامعنى يصبح التساؤل هو الوسيلة للكشف عن اللامعنى، عن عدم التضارب في الوجود كما هو الحال عند سارتر، ويصبح السؤال كحب الإستطلاع، والنفي والثرثرة والهم والخصر والضيق والنظرة وغيرها من التجارب التي تجعل النفس حزينة حتى الموت. ظل الفكر الأوربي في جوهره فكرا تساؤلياً، وكان التساؤل أقرب إلى النفي منه إلى الإثبات.

ومنذ فجر النهضة العربية الحديثة الأسئلة عندنا أيضاً ثلاثة: ما موقفنا من التراث القديم؟ ما موقفنا من التراث الغربي؟ ما موقفنا من الواقع المباشر؟ وهي الجبهات الثلاث التي يعيشها فكرنا المعاصر حتى الآن والتي تكوّن جوهر موقفنا الحضاري(١).

ثقافتنا العربية الآن محاصرة بين الموروث والوافد، خصمان يقتتلان، السلفية والعلمانية، والأول يخوّن الثاني، والثاني يكفّر الأول، وهو أيضاً محاصر بين الموروث والوافد من ناحية والواقع المباشر من ناحية أخرى، بين ثقافة النص وبين الواقع المعاش، بين النص المكتوب والنص غير المكتوب، بين الماضي والمستقبل من ناحية، والحاضر من ناحية أخرى، هذا الحاضر الذي ترده إلى الماضي، وتحيله العلمانية إلى المستقبل، ولا يجد أحداً يصفه كما هو عليه، كحاضر خاص، له مكوناته ولحظته التاريخية التي يمر بها وإستقلاله، رافضاً أن يكون تابعاً مرة للماضي، ومرة للمستقبل، ولا تكوّن هذه الأسئلة عندنا مثلثاً متساوي الأضلاع.

فالسؤال الأول عن التراث القديم أطولها بما للفلسفة من رصيد شعبي في وجدان الجماهير، وبما للتراث القديم من رصيد تاريخي على مدى أربعة عشر قرناً. والسؤال الثاني أصغرها بما للعلمانية من رصيد محدود عند خاصة المثقفين، وبما لها من جذر تاريخي فقط منذ قرنين من الزمان واتصالنا بالغرب الحديث. أما السؤال الثالث عن الواقع المباشر فهو الغائب الحاضر، المفكر فيه المسكوت عنه، هو الباعث والمحرك وإن كان التعبير عنه يتم من خلال الموروث أو الوافد أي بالصياغات الجاهزة، قال ابن تيمية أو قال كارل ماركس دون إبداع جديد ودون صياغة تلقائية، تصنيف إلى مجموع النصوص نصاً جديداً لا هو بالموروث ولا هو بالوافد، بل هو تراث جديد يمزج بين التراثين السابقين، الطويل والقصير، البعيد والقريب.

وقد يضم السؤال الأول ما موقفنا من التراث القديم، والسؤال الثاني، ما موقفنا من التراث الغربي في سؤال واحد سأله شكيب أرسلان من قبل وحاول الإجابة عليه وهو "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ وظلت المقارنة، تخلف الأنا وتقدم الآخر، واردة ودائمة في الفكر العربي المعاصر، مرة بالمماثلة، فالغرب فقط للتحديث عند كل رواد الفكر العربي المعاصر ومرة بالإختلاف أي المماثلة المستحيلة في الحركة السلفية الحالية. كان التفكير في الأنا يتم في مرآة الغرب، وكان التفكير في الغرب يتم في مرآة الأنا، ويبدو التقابل في معظم الأحيان في عدة صور مثل: تخلف الأنا وتقدم الآخر، دين الأنا ودنيا الآخر، تراث الأنا وعلم الآخر، طغيان الأنا وحرية الآخر، استبداد الأنا وديمقراطية الآخر، فقر الأنا وغنى الآخر، الإحتلال الواقع على الأنا والإستعمار الواقع من الآخر، إستهلاك الأنا وإبداع الآخر، الأنا والآخر الموروث والوافد أخوة أعداء، رأي القدماء بينهما اتفاقات ووئاماً، بين الدين والفلسفة عند الكندي والفارابي وابن سينا، وبين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية عند إخوان الصفاء، وبين الشريعة والحكمة عند ابن رشد، ورأي الفقهاء بينهما اختلافاً منذ الغزالي في "تهافت الفلاسفة" وفتاوي ابن الصلاح.

تأصيل ما موقفنا من التراث القديم"

وقد يأخذ السؤال الأول: ما موقفنا من التراث القديم عدة صياغات مثل: "ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين؟" "لأبي الحسن الندوي أو "إلى أي شيء ندعو الناس؟" لحسن البناء. ولقد توارى هذا السؤال عند هذا الجيل حتى كاد يختفي، وتحول إلى إجابة مسبقة: الدين، التراث، الحاكمية، الله المعاد، الآخرة، الشريعة حتى طغت هذه الإجابات كلها على أمور الدنيا وصلاح الناس ونظم الحكم وكأننا ما زلنا في عصر «إحياء علوم الدين» دون أن ننقله إلى عصر «إحياء علوم الدنيا» (٢) مازالت الإجابة عندنا «لا يصلح هذه الأمة إلا ما صلح به أولها»، تكرار النموذج القديم، بلا إبداع جديد» وإجتهاد من المعاصرين.

وهل عروس الجليل أقل جهاداً من سمية زوج عمار بن ياسر؟ وهل تعذيب الفلسطينيين في سجن الأنصار أقل من تعذيب بلال؟ ولماذا يكون السلف خير من الخلف، ويكون الخلف شر من السلف بالضرورة؟ ولماذا يأتي خلف يضيع الصلوات ويتبع الشهوات دون أن يذكر له فضل التحرر من الإستعمار ومقاومة الصهيونية؟ وماذا عن جهاد المقاومة في جنوب لبنان؟ ويكون السؤال: ألا يمكن إبداع جديد؟ ألا يمكن أن يكون الخلف أفضل من السلف؟ ألا يتضمن المستقبل إمكانيات ونماذج أفضل من الماضي؟ وهل لا بد من نموذج يحتذي به، نموذج أبدي يتبعه الخلف إجباراً وأتبعه السلف ضرورة؟ ولماذا يكون بالضرورة؟ ولماذا يكون بالضرورة خير القرون القرون الأولى وأشرها القرون المتأخرة؟ أليست هذه رؤية متشائمة للتاريخ والتقدم؟ تعارض حتى روح الوحي وتقدمه في التاريخ بتقدم الوعي الإنساني، من آدم حتى محمد عبر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهم أولو العزم من الرسل؟ أليس هذا يأس من روح الله، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون؟ وإلى متى سنكرر علوم القدماء، التي نشأت في البداية في ظروف الإنتصار ونحن في طريق النهاية والهزيمة؟ إلى متى سنعيش

(١) انظروا دراستنا «موقفنا الحضاري»، دراسات فلسفية ص ٩ - ٥٠ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٨.

(٢) انظروا دراستنا: «التصوف والتنمية» أو إحياء علوم الدنيا في الدين والثورة في مصر ١٩٥٢ - ١٩٨١ الجزء الرابع: الدين والتنمية القومية ص ٣١٣- ٣١٧، مدبولي القاهرة ١٩٨٩.